

الحمد لله رب العالمين له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيدنا محمد أشرف المرسلين وحبیب ربّ العالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أما بعدُ،

فقد كان السلطانُ صلاحُ الدين الأيوبيّ^(١) (كما وصفه أصحابُ التراجم) شافعيّ المذهب أشعريّ الاعتقاد، وقد كان له اعتناءٌ خاصٌّ بنشر عقيدة الإمام الأشعريّ^(٢) رحمه الله. وقد أمر السلطانُ صلاحُ الدين الأيوبيّ المؤذنين في وقتِ التَّسْبِيحِ أن يُعلنوا بذكر العقيدة الأشعريّة فوظفَ المؤذنين على ذِكْرِهَا كُلِّ لَيْلَةٍ. وقد كان السلطانُ صلاحُ الدين رضي الله عنه حافظَ القراءان وحافظَ كتابِ التَّنْبِيهِ فِي الفقه الشافعيّ وحافظَ كتابِ الحماسة. وكان دينًا ورعًا غازيًا مجاهدًا تقيًا. ولما كان للسلطان المذكور صلاحُ الدين رضي الله عنه هذا الاهتمام بعقيدة الإمام الأشعريّ، أَلَّفَ الشَّيْخُ النَّحْوِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ هَبَةَ^(٣) هذه الرسالة وأسمّاها «حدائقَ الفصول وجواهر العقول»، وأهداها للسلطان فأقبل عليها وأمرَ بتعليمها حتى للصبيان في الكُتَّاب وصارت تسمى فيما بعد بالعقيدة الصلاحية نسبةً إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي رضي الله عنه.



قال الناظم في مقدمة العقيدة:

فهذه قواعدُ العقائدِ ❀ ذكرتُ منها مُعظَمَ المقاصدِ
جَمَعْتُهَا لِلْمَلِكِ الْأَمِينِ ❀ النَّاصِرِ الْغَازِيِ صَلاَحِ الدِّينِ
عَزِيزِ مِصرِ قِيسِرِ الشَّامِ وَمَنْ ❀ مَلَكُهُ اللهُ الحِجَازَ وَالْيَمْنَ
ذِي العَدْلِ وَالجُودِ مَعًا وَالْبَاسِ ❀ يوسِفَ مُحَيِّ دَوْلَةِ العَبَاسِ
ابنِ الأَجَلِّ السَّيِّدِ الكَبِيرِ ❀ أَيُوبَ نَجْمِ الدِّينِ ذِي التَّدْبِيرِ
لا زَالَتِ الأَيَّامُ طَوَّعَ أَمْرِهِ ❀ وَالسَّعْدُ يُسَعِي مَعَ جِوشِ نَصْرِهِ

ثم قال في هذه العقيدة:

وَصانِعُ العالَمِ لا يَحْوِيهِ ❀ قُطْرُ تَعَالَى اللهُ عَن تَشْبِيهِ
قَدْ كانَ مَوْجُودًا ولا مَكانًا ❀ وَحُكْمُهُ الآنَ عَلى ما كانا^(٤)
سُبْحانَهُ جَلَّ عَن المَكانِ ❀ وَعَزَّ عَن تَغْيِيرِ الزَّمانِ
فَقَدْ غَلا وِزادَ في العُلُوِّ ❀ مَن خَصَّهُ بِجَهَةِ العُلُوِّ^(٥)
وَحَصَرَ الصانِعَ في السَّماءِ ❀ مَبْدِعَها وَالعَرشِ فِوقَ المَاءِ
وَأثَبُّوا لِداتِهِ ❀ التَّحْيِزًا ❀ قَدْ ضَلَّ ذُو التَّشْبِيهِ فيها جَوْرًا

ثم قال في هذه العقيدة:

إِنَّ الَّذِي يُؤْمَنُ بِالرَّحْمَنِ ❀ يُثَبِّتُ مَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
مِنْ سَائِرِ الصِّفَاتِ وَالتَّنْزِيهِ ❀ عَنْ سَنَنِ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ
مِنْ غَيْرِ تَجْسِيمٍ وَلَا تَكْيِيفٍ ❀ لِمَا أَتَى فِيهِ وَلَا تَحْرِيفٍ
فَإِنَّ مَنْ كَيْفَ شَيْئًا مِنْهَا ❀ زَاغَ عَنِ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهَا
وَهَكَذَا مَا جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ ❀ عَنِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ

ثم قال في هذه العقيدة:

وَصَانِعُ الْعَالَمِ ذُو كَلَامٍ ❀ أَوْصَلَ مَعْنَاهُ إِلَى الْأَفْهَامِ
كَلَامُهُ الْمَنْزُولُ مِنْ صِفَاتِهِ ❀ وَهُوَ قَدِيمٌ قَائِمٌ بِذَاتِهِ
وَقُلْ لِمَنْ قَدْ كَيْفَ الْكَلَامَا ❀ بِالْحَرْفِ وَالصَّوْتِ مَعًا سَلَامًا
فَإِنَّهُمْ قَدْ كَابَرُوا الْعِيَانَا ❀ وَخَالَفُوا الدَّلِيلَ وَابْرَهَانَا
فِي أُولَى التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ ❀ الْحَاءُ فِي الرَّحْمَنِ قَبْلَ الْمِيمِ
وَهَكَذَا الْمَتْلُوُّ فِي كَلَامِكُمْ ❀ أَيُّهُمَا الْقَدِيمُ فِي اعْتِقَادِكُمْ
أَضَلَّتُمْ الْجَهَّالَ بِالتَّمْوِيهِ ❀ لِمَا سَلَكَتُمْ نَهْجَ التَّشْبِيهِ

(١) هو السلطان العادل المجاهد صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي الأيوبي الملقب بالملك الناصر، من أشهر ملوك الإسلام، ولد سنة ٥٣٢هـ بتكريت، ونشأ رحمه الله في دمشق وتفقه وتأدب وروى الحديث بها وحفظ متوناً كثيرة منها كتاب التنبية في الفقه الشافعي للشيرازي، وأحب العلم وأهله وأكرمهم، وهو أحد السلاطين الذين كان لهم الباع في نشر اعتقاد الإمام الأشعري رحمه الله الذي هو اعتقاد أهل السنة والجماعة. وأما مناقبه وسيرته فمشهورة حتى ألف في ذكرها العديد من العلماء، أما جهاده وبطولته فمما شهد له القاصي والداني وألف في أخباره وفتوحاته أيضاً العديد من المؤلفات. توفي رحمه الله سنة ٥٨٩هـ بدمشق ودفن فيها وقبره مشهور ويزار.

(٢) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة عامر ابن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي موسى الأشعري. ولد سنة ستين ومائتين بالبصرة وتوفي رحمه الله ببغداد ودفن بين الكرخ وباب البصرة.

ويكفي في بيان فضله رضي الله عنه ثناء الحافظ البيهقي عليه وهو محدث زمانه وشيخ أهل السنة في وقته فقال كلاماً أورده بطوله التاج السبكي فيه ذكر شرف آباء وأجداد أبي الحسن وحسن اعتقاده وفضله وكثرة أصحابه مع ذكر نسبه، ثم قال البيهقي رحمه الله: "إلى أن بلغت النوبة إلى شيخنا أبي الحسن الأشعري فلم يحدث في دين الله حديثاً ولم يأت فيه بدعة، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة في أصول الدين فنصرها بزيادة شرح وتبيين" انتهى كلام البيهقي.

قال السبكي في طبقات الشافعية (٢/ ٢٥٤): "واعلم أن أبا الحسن الأشعري لم يبدع رأياً ولم يُنشِ مذهباً وإنما هو مقررٌ لمذاهب السلف، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقَدَ على طريق السلف نطاقاً وتمسك به، وأقام الحجج والبراهين عليه فصار المقتدي به في ذلك السالك سبيله في الدلائل يسمى أشعرياً" انتهى.

(٣) هو تاج الدين محمد بن هبة الله بن مكّي الحموي المولد، المصري الديار والوفاة، الشافعي الخطيب ولد بحماه سنة ٥٤٦هـ.

قال تاج الدين السبكي في طبقات الشافعية: "كان فقيهاً فرضياً نحوياً متكلماً، أشعرياً العقيدة، إماماً من أئمة المسلمين، إليه مرجع الديار المصرية في فتاويهم، وله نظم كثير، منه أرجوزة سماها "حدائق الفصول وجواهر الأصول" صنفتها للسلطان صلاح الدين، وهي حسنة جداً نافعة، عذبة النظم". انتهى. تفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وسمع بالاسكندرية من الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني، وبمصر من العلامة أبي محمد عبد الله بن برّي النحوي، وسمع أيضاً من بعض شيوخ المنذري. وولي التدريس بالمدرسة الناصرية المجاورة للجامع العتيق بمصر، والخطابة بجامع القاهرة.

(٤) وهذا مأخوذ من قول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "كان الله ولا مكان وهو الآن على ما عليه كان" رواه الإمام أبو منصور البغدادي في كتابه "الفرق بين الفرق".

(٥) قال العلامة أبو المعين النسفي لسان متكلمي أهل السنة والجماعة: "فيكون القول بإثبات المكان له كافراً". وروى البيهقي في كتابه الأسماء والصفات أن الإمام أبا الحسن الأشعري ناصر سنة سيّد المرسلين قال: "إن الله تعالى لا مكان له". وكتب أهل السنة والجماعة من أشاعرة وماتريديّة طافحة بالنصوص الني تثبت أن الله سبحانه وتعالى منزّه عن الحلول في مكان أو الأماكن ومنها قول الإمام أبي جعفر الطحاوي السلفي: "لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات".